هذه الرسالة المسماة بالدر النظيم في تحقيق الكلام
القديم لخاتمة المحققين سيدي محمد الجوهري
اطال الله بقاه ومتعنا به رحمه
الله وجعل الجنة متقلبه
ومثواه امين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الهادي للصواب الفاتح لمغلق الابواب والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الاحباب الذي اوتي الحكمة وفصل الخطاب وعلى اله واصحابه السادة الانجاب اما بعد فهذه رسالة لطيفة في تحقيق القول على صحة الكلام المتعلقة بالذات العلية سميتها بالدر النظيم في تحقيق الكلام القديم فاقول قال العلامة سعد الدين التفتازاني في في التهذيب الكلامي ما نصه ومنها الكلام لشهادة الانبياء مع عدم دلالة توقف المعجزة على الكلام لتعذر دلالته ضده في الحي نقص وهو عندنا صفة ازلية منافية للسكوت والافة قد يدل عليه بالعبارة والكتابة وجمهور الفرق على ان المعقول من الكلام هو الحسي دون النفسي ولم يقل بقدمه الا الحنابلة والحشوية وبطلانه ضروري لكونه مرتب الاجزاء ممتنع البقاء وعند المعتزلة هو حادث في جسم ما ومعنى تكلم الباري به خلقه فيه لنا ان معنى المتكلم من قام به الكلام ولا يتصور القطع بنفي المعنى والقول بان الطلب قد يكون دونه ينفي الاجزاء القائم بنفس الحافظ والطابع وهم وايضا كل من يامر وينهى ويخبر يجد في نفسه معنى غير العلم والارادة يدل عليه بالعبارة والكتابة وشاع عند اهل اللسان اطلاق الكلام وان تراعي في انه تعالى الاكثر او المجاز المشهور على النظم المخصوص المسموع الا لجبرائيل دالة على كلامه القديم بل الاية انشاء يقوم في اللوح او بحروفه في الملك وخص العربي منه باسم القرآن وهو المتعارف عند العامة وفي علم الاصول والى بعض جوانبه نشهد بالحدوث مثل التنزيل والعربي والمعجز والمسموع والمجرد بنحو ذلك وقال في المبحث التاسع في الفصل الثالث في الصفات الوجودية من مقاصده ما نصه تواتر القول بذلك عن الانبياء مع ثبوت صدقهم بالمعجزة من غير توقف على الكلام وقد يستدل بان ضده في الحي نقص او قصور في الكمال اعلم انا من نثبت كلاما عندنا صفة ازلية منافية للسكوت والافة يدل عليها بالعبارة والكتابة ليست من جنس الاصوات والحروف وخالفنا في ذلك جميع الفرق ذهابا الى ان المعقول من الكلام هو الحسي دون النفسي ولم يقل بقدمه الا الحنابلة والحشوية جهلا منهم وعنادا اذ لا خفاء في ترتيب اجزائه وامتناع بقائه وزعم الكرامية انه مع حدوثه قائم بذات الله

وسموه قولا وحملوا كلامه عبارة عن القدرة على ايجاده وعند المعتزلة هو حادث في جسم ما ومعنى تكلم الباري به الكلام

والمنتظم من الحروف حادث يمتنع قيامه بذات الله تعالى فتعين المصير اذ لا ثالث انه المراد منه وقال العلامة السنوسي في شرح الكبرى في مبحث الكلام ما نصه بعد قول المصنف المتن ومن ثم استحال عليه تعالى ان تكون كتبا الى ان قال ويكون كلامه حروفا او صوتا لانه لو كان كلامه يتركب من الحروف والاصوات لكان في محل واحد ولا توجيه حروف في محل واحد حتى ينعدم سابقها ويتجدد لاحقها وكلما سبق وجوده العدم او طرأ على وجوده العدم فهو حادث فالحروف والاصوات لا بد ان تكون الا حادثة فلو تركب الكلام منها لكان حادثا ضرورة ان المركب من حادث حادث وذهبت الحشوية المنتمون الى الظاهر الى ان كلام الباري تعالى القائم بذاته حروفا واصواتا ومع كونه حروفا واصواتا هو قديم ازلي وهولاء اصحاب غاية في الضلال لعقولهم في حوضة الجهالة فان من سواهم من اهل الزيغ ربما تعرض لهم شبهة تخيلها تصدم من اول مرة بالضرورة اما هولاء فلم يراعوا ضرورة باب المعقول ولا وقفوا من اول مرة على شي منها نعوذ بالله من الخذلان ثم اتفقوا على ان كلامه سبحانه وتعالى قديم بحروف واصوات يتكلم بما شاء منها باللسان العربي والعجمي وضروب الالسنة الموضوعة لاهل الارض فيقولون انه ينطق بالباء والميم وساير الحروف على مخارج الحروف وقال بعضهم انه يتكلم بالحروف على مخارجها وصفاتها ورقتها وصويتها كيف يشاء وعلى اي لغة شاء وكيف لا يحل المشية القديم لو لا ان الله يسلب عقل المتميز عمن يشاء وهو عندهم يتكلم اذا يشاء ويسكت اذا يشاء فاذا سكت لم يتقدم كلامه ولكنه صمت وانه تعالى الله على عن قولهم ومن تشنيع مذهبهم ان القاري اذا قرأ من كتاب الله تعالى اية فالذي يسمع منه هو الكلام القائم بالله تعالى سبحانه وقد وجد في محل هو القاري ولم ينتقل من ذات الاله وزعموا ان حروف المصحف هي كلام الله تعالى من غير ان ينتقل انظر هذا ترهذا قول النصارى في تدرع عيسى عليه السلام بالصفة الازلية التي هي الكلمة عيسى عليه السلام فقارن له لكن النصارى خصصوا في محل قاري يتلو اية من كتاب الله تعالى وحكم بقدم حروف واصوات تتجدد والعدم سابق لها ولا حق وكون الشي الواحد بكل محل خروج عن دائرة العقل وجحد للضروريات فكيف يوسم بالعقل من يقول ان الحروف اذا صيغ من زيد وعمرو حتى يحيهم حتى يفهم منها اية من كتاب الله تعالى هي باعيانها عين كلام الله تعالى

اوكانت

اوكانت اذا كانت ربما حادثة فلما صارت حروفا انقلبت قديمة واطلقت طائفة منهم القول بان الحروف المكتوبة الدالة على اسم الله سبحانه وتعالى هي المعبود بحق فان كتبت في اماكن فهو واحد في اماكن قال ابو حامد يلزمهم ان يحرق ما كتب فيه اسم الناس والقوم يبتلون بعظيم العبادة قال ابن دهاق وهذه الطائفة اجهل الناس في طريق النظريات قال ابن حلق اسودا على الحسيات تركب مذهب الحشوية من ثلاث جهالات احدها جهلهم باللسان والعرق بين عبارة وحقيقته ولهذا حملوا ظاهر ما ورد من الاستوا على العرش والنزول الى السما في الثلث الاخير من الليل ولون القران كلام الله محفوظا في الصدور مقروا بالالسنة مكتوبا في المصاحف وما ورد من نداء الله في الاخرة بصوت يسمعه من قرب ومن بعد وغير ذلك مما لا يحصي والثانية جمودهم على ما سبق اليهم من ظاهر اللفظ والثالثة

فاعتقاد الحشوية فالعقل ضلالات ثلاث فهو جمود تنصر واعتزال ضم مع اليهود في اعتقاد التجسيم وفيحق الله ومع النصارى في اعتقاد حلول الكلام في الاجسام وانه لا يفارق مع ذلك الله ومع المعتزلة في اعتقاد ان كلام الله تعالى حروف واصوات وهو نقض مذهب اليهود انتهى المراد منه مع بعض تصرف وقال السيد في شرح طالعة المواقف بعد قول المتن وانزل معك كتابا عربيا مبينا فاكمل العبادة دينهم واتم عليهم نعمته ورضي لهم الاسلام دينا الكتاب الكريم والقرانا فتمها داعيا ومواقف محفوظا في القلوب مقروا بالالسنة مكتوبا في المصاحف ما نصه وصف القران بالقدم ثم صرح بما يدل على انه هذه العبارة المنظومة كما هو مذهب السلف حيث قالوا ان الحفظ في القراه والكتابة حادثة لكن متعلقها اعني المحفوظ والمقروء قديم وما يتوهم من ان ترتيب الكلمات وحروفها وعروض الانتهاء والوقوف مما يدل على الحدوث فباطل لان ذلك لقصور في الالات القابلة واما ما اشتهر عن الشيخ ابي الحسن الاشعري من ان القديم معنى قائم بذاته فقد عبر عنه بهذه العبارة الحادثة فقد قيل انه غلط من الناقل منشاه اشتراك لفظ المعنى بين ما يقابل اللفظ وبين ما يقوم بغيره وسيجد ذلك وصححا فيما يأتي ان شا الله تعالى انه بالحروف وقال العلامة الدواني في شرح عقائد العضد ما نصه ولا خلاف بين اهل الملل في كونه تعالى متكلما الا انهم اختلفوا في تحقيق كلامه وحدوثه وقدمه وذلك لانهم لما رأوا قياسين متعارضين في النتيجة وهما كلام الله تعالى صفة له وكل ما هو صفة له فهو قديم فكلام الله تعالى قديم وكلام الله مركب من حروف وصوت مرتبة متعاقبة في الوجود وكل ما هو كذلك فهو حادث فكلام الله تعالى

حاصل من مصطفى والحال الفرح في احد القياسين ضرورة امتناع حقيقة النقيضين
فمنع كل طائفة بعض المقدمات فالحنابلة ذهبوا الى ان كلامه تعالى حروف واصوات
مترتبة وهي قديمة ومنعوا ان كل ما هو مؤلف من حروف واصوات مترتبة فهو حادث
بل الكلام بعضهم بتقدم الجلد والغلاف فضلت مما بانهم لم يقولوا بتقدم الكاتب والجلد
وصاية الغلاف وحكي انهم منعوا اطلاق لفظ الحادث على الكلام المعظم رعاية للادب
واحترازا عن ذهاب الوهم الى حدوث الكلام النفسي كما قال بعض الاشاعرة ان كلامه
تعالى ليس قائما باللسان او مكتوبا في مصحف او لوح ومنع عن اطلاق القول
بحدوث كلامه لئلا ان كان المراد هو المعنى رعاية للادب واحترازا عن ذهاب
الوهم الى الكلام الازلي وقال العلامة الدحمي في المقاصد وشرحه
عليه ما نصه ومنها ان الكلام باجماع الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اذ قد تواتر
عنهم انه تعالى امر ونهى واخبر مما هو من اقسام الكلام وثبت صدقهم بالمعجزة
بدون توقفه اي المعجزة على اخبار الله عنه اي عن صدقهم بطريق التكلم حتى
من الدور ويمتنع ان ضده اي ضد الكلام في الحي مما يصح اتصافه به نقص والاتصاف
بعدم التكلم وهو عليه تعالى محال اذ المتكلم اكمل من غيره ويمتنع ان يكون المخلوق
اكمل من الخالق ولا خلاف لاحد في كونه متكلما وانما الخلاف في معنى كلامه وفي حدوثه
وهو عندنا اهل الحق ليس من جنس الحروف والاصوات بل صفة ازلية
منافية للسكوت الناطق مع عدم ارادة الكلام المعنوي والافة بمعنى عدم مطاوعة
الآلة لا يختلف مراده نهيا وخبرا ولا يتعلق بماض وطالب لاستقبال بحسب المتعلقات
والاضافات كالعلم والقدرة والارادة وهو امر ونهي وخبر يدل عليها بالعبارة والكتابة
فاذا عبر عنه بالعربية فقرآن او بالسريانية فانجيل او بالعبرانية فتوراة فالمسمى
واحد والاختلاف انما هو في العبارات كما في ذكر الله بلغات مختلفة والسنة متعددة
اذ المتكلم من قام به الكلام لا من اوجده ولو في محل آخر للقطع بان موجد الحركة في جسم
لا يسمى متحركا كما انه تعالى يخلق الاصوات ولا يسمى مصوتا وحينئذ فالكلام القائم
بذاته لا يمكن ان يكون هو الحسي اي المنتظم من الحروف لحدوثه ضرورة ان له ابتداء
وانتهاء ولكون الحرف الثاني من كل كلمة مسبوقا بما قبله مشروطا
بانقضائه ولامتناع اجتماع اجزائه في الوجود وبقاء شيء منها بعد الحصول
وحادث يمتنع قيامه بذاته تعالى فتعين النفسي اي المعنى القائم بذاته تعالى اذ لا بد لنا
قالت

قالت يسمى كلاما وان يكون قديما لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى اذ لا بد لنا له والاجماع
على انه تعالى يقوم بشيء ولو سلم فانما يقوم [illegible] بلسانه لا بذاته ولما صح الامير يتكلم
بلسان الوزير ويجري بلسان المصروع ولا بان المنتظم من الحروف قد يكون قديما في الجملة
كالقائم بنفس الحافظ وبحاصل على الورق من الطابع كما نقش الكلام ولزم الترتيب
في التلفظ والقراءة لعدم مساعدة آلة فلا يمتنع ان يكون قائما بذاته تعالى اذ قد اجيب
بان كون المتكلم من قام به الكلام ثابت لغة وعرفا فيكون المنتظم من الحروف مرتب
الاجزاء ممتنع البقاء ثابت ضرورة وما ذكر سند المنع تمويه اما الاول فلان المعتبر في
اسم الفاعل وجود المعنى له بقاؤه خصوصا الاعراض السيالة كالتحرك والتكلم ولكن
يكفي التلبس ببعض اجزائه ولا يشترط القيام بكل جزء من اجزاء المحل كالسامع والباصر
والواقف ومعنى التكلم بلسان الغير القاء الكلام منه مجاز واما الثاني فلان الكلام في
المنتظم لا في الصور المرسومة في الخيال والمحزونة في الحافظة المنقوشة باشكال الكتابة
مع ان قيام الحروف والصوت بذاته تعالى ليس بمعقول وان لم يكن مرتب الاجزاء كالحرف الواحد
فانه اذا كل من يأمر وينهى ويخبر يجد في نفسه معنى غير العلم والارادة يعبر عنه بما
يسمى من الالفاظ كلها احيانا لا يختلف باختلاف العبارات بحسب الاوضاع والاصطلاحات
ويقصد المتكلم حصوله في نفس السامع ليجري على موجبه وهو الذي نسميه كلام النفس
وحديثها ومغايرته العلم والارادة لا سيما في الاخبار والانشاء الغير طلبي في غاية
الظهور وقد يتمسك في مغايرته للعلم بان الانسان قد يخبر بما لا يعلم بل يعلم خلافه
وللارادة بان السيد قد يامر عبده بفعل ويطلبه منه ولا يريده كما في اعتذاره من ضربه
لعصيانه ليظهر لمن لامه على ضربه وشاع بين اهل اللسان اسمه اي اسم المعنى القائم بالنفس
بالكلام والقول يقول في نفسي كلام وزورت في نفسي مقالة وفي التنزيل ويقولون
في انفسهم واذ قد ثبت انه تعالى متكلم بالكلام وامتنع قيام الكلام الحسي بذاته تعين
ان يكون هو النفسي وان يكون قديما اذ لا يقوم بذاته حادث وليس عندنا من الغرض فليفعل له
والكلام مع الحنابلة ان الكلام لا يفهم منه الا الحسي اي اللفظي المنتظم من الحروف
القائمة التي لها الدالة على المعاني المقصودة وان الكلام النفسي غير معقول وزعم
الحنابلة ومن تبعه قدمه اي الحسي حيث قالوا ان تلك الاصوات والحروف مع
تواليها وترتب بعضها على بعض وكون الحرف الثاني من كل كلمة مسبوقا بالحرف قبله
كانت ثابتة في الازل قائمة بذاته تعالى وان ما نسمع من اصوات القراء وروي من

اسطر الكتابة نفس كلامه تعالى وبطلانه ضروري لكونه مترتبا اجزاؤه حتى امتنع البقاء
اذ كل حرف مشروط بانقضاء ما قبله فلا يكون مترتب الاجزاء قديما ولكن شاهدنا بعجبهم
قول بعضهم ان الجلد والغلاف ازليان وبعضهم ان الجسم الذي كتب فيه وانتظم حروفا
ورقوما نفس كلامه وقد صار قديما بعدما كان حادثا وزعم الكرامية ان القرآن
مع حدوثه قائم بذاته تعالى وانه قوله الكلام لا كلامه لانه قدرته وهو قديم وقوله حادث
لا محدث وفرقوا بينهما بان كل ماله ابتداء ان كان قديما بالذات فهو حادث بلا حدوث المحدث
وان كان مباينا للذات فهو محدث بقوله كن لا بالقدرة اه اذا علمت ذلك وعرفته
حق المعرفة تحققت ان المحققين من علماء الكلام الذين يوثق بهم ويؤخذ عنهم سواء القائل
منهم بان كلام الله معنى قديم قائم بذاته ليس مركبا وليس من جنس الحروف والاصوات
والقائل منهم بانه حروف قديمة لا نعلم كنهها وليست من جنس هذه الحروف والكلمات
التي نقرؤها مجمعون على ان هذه الالفاظ التي نتلوها ونقرؤها حادثة قائمة
بالانسان الحادث كما هو ضروري البيان وان كنا لا ننطق بذلك ادبا وخوفا من الالتباس
بالمعنى القديم القائم بذاته الا في مقام التعليم واما اعتقاد حدوثها فواجب كما في
العقائد ولا نظر لمن خالف ذلك لاجماعهم على انحصار مذهب اهل السنة المعتد بهم
في مذهب الاشاعرة والماتريدية وانه لم ينقل احد من الفريقين خلاف ذلك ومن
خالفهما فلا اعتداد به ولا بما ينقله وان جل ناقلوه وعظم قائلوه اذ الحق لا يعرف
بالرجال وانما تعرف الرجال بالحق فكن مع الحق حيث كان ودر معه في كل مكان والله

خاتمة قد علم مما تقرر ان المحققين من اهل السنة المعتبرين القائلين
بان كلامه تعالى صفة وجودية قائمة بذاته العلية اختلفوا على قولين احدهما انه اعني
الكلام القديم معنى قائم بالذات العلية ليس من جنس الحروف والاصوات اصلا بل هو
منزه عنهما والى هذا ذهب العلامة سعد الدين التفتازاني والمحقق السنوسي
في سائر عقائده تبعا للجمهور الناصين من محققي الفقهاء والاصوليين ومحققي المتكلمين
وثانيهما انه حروف واصوات لكنها ليست من جنس الحروف والاصوات الحادثة
القائمة بنا ضرورة تغاير القديم والحادث ذاتا وصفة من كل وجه والى هذا ذهب
السيد والعضد ومن تبعهما وهما من علماء العجم مع اعتراف كل من الفريقين بعدم علم
كنه ما قام بالذات العلية بحجب العقول عن معرفة كنه الذات والصفات المقدسة
واتفاق الجميع على ان ما نقرؤه ونتلوه من الالفاظ الدالة القائمة بنا حادثة مسبوقة

بالعدم

بالعدم ولحوقه لها وان لم يطلق الحدوث عليها الا في مقام التعليم مخافة سبق الذهن
الى ما قام بالذات العلية ولا يتوهم قدم ما قام بنا من الالفاظ الحادثة بمشاهدة الحس
الا من لا يفرق بين المرئي وغيره ولا بين القديم والحادث ولا بين الغائب والشاهد
وما نقل عن الامام احمد رضي الله تعالى عنه وارضاه مما يوهم شيئا
من ذلك فمحمول على انه برئ منه لكمال عقله وفطنته وتمام ادراكه ومعرفته وانما امتنع
من القول بان كلام الله تعالى مخلوق مخافة سبق الذهن الى الصفة القائمة بالذات العلية
وصيرورة ما يوهم موافقة اهل الاعتزال في مقالتهم الشنيعة حيث نفوا الصفة القديمة
وقالوا ليس هنا الا الالفاظ الحادثة فقط اذا تقرر ذلك فنقول يمكن ان يقال
ان الخلف بين الفريقين المتقدمين لفظي عائد الى التسمية والاطلاق اذ غايته ان ذلك
الكلام القائم بالذات العلية الذي لا نعلم كنهه هل يقال انه حروف واصوات قديمة
منزهة عن تقدم وتأخر ليست من جنس الحروف والاصوات الحادثة التي بنا ام يمنع من
ذلك مخافة سبق الذهن الى الحروف الحادثة كما منعوا ان يقال القرآن مخلوق مع ارادة به
اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مخافة الاشتباه بالصفة القديمة القائمة به تعالى
ولا يخفى ان ترك ذلك القول مع تصحيح معناه احق بالاعتبار مخافة سبق الذهن
الى ما نعهده من الحروف والاصوات القائمة بنا مع عدم الضرورة الى هذا الاطلاق الذي
لم ترد به سنة ولا كتاب واما القول بان ما قام بنا من الحروف والاصوات قديم فكلام لا ينبغي
لحس ويصفه العقل ضرورة استحالة قيام القديم بالحادث وحلوله به ولعمر الله ان مقالة
المعتزلة للبارئ احق جزما من القول بان كلامه تعالى القديم حل بنا وهو ما قام بنا من
التلاوة والقراءة نعوذ بالله من سوء الغفلة والغباوة الى الحماقة والى نحو ذلك اشار
العلامة اللقاني في شرحه الكبير على منظومته جوهرته حيث قال ما نصه واعلم انه لا خلاف
لارباب الملل والمذاهب في كون الباري تعالى متكلما وانما الخلاف في معنى كلامه وقدمه
وحدوثه فعندنا كلامه ما مر وخالفنا في ذلك جميع الفرق وزعموا انه لا معنى للكلام الا
المنتظم من الحروف المسموعة الدالة على المعنى المقصود وان الكلام النفسي غير معقول ثم قالت الحنابلة ومن تابعهم
نسبوا التشبيه للحنابلة ظلما وعلوا وقاليه احمد ووجوه اصحابه براءتهم من مقالتهم والحشوية ان تلك
الاصوات والحروف مع توالیها وترتب بعضها على بعض وكون الحرف الثاني من كل كلمة مسبوقا بالحرف
المتقدم عليه كانت ثابتة في الازل قائمة بذات الباري تعالى وتقدس وان المسموع من
اصوات القرآن والمرئي من اسطر الكتابة نفس كلام الله تعالى وكفى شاهدا على جهلهم ما نقل .

عن بعضهم ان تحليد الفلاحة ان لبان ومن بعضهم لن يحسم الذي كتب القران فانتظم حروفا
ورقوم ما هو يعنيه كلام الله فقالي ووبصار وفتيا لهمه كان حادثا انتهى والله اعلم
بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم وقد تم في تسويدة
من يوم الحد الاربع
الكائم عشر شهر
صفر سنة ١٢٩٨